وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الانبار
كلية العلوم الإسلامية ــ الرمادي

الأخلاق : وأثرها في السلم المجتمعي ، (التسامح) انموذجاً .

أ.د. أكرم عبيد فريح
أ.د. حميد عطوان صالح
التدريسيان في قسم الفقه وأصوله
كلية العلوم الإسلامية

١٤٣٩هـ ٢٠١٨م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد :

إنَّ موضوع البحث هو (**الأخلاق وأثرها في السلم المجتمعي ، التسامح انموذجاً**) ، تكمن اهمية هذه البحث بما يأتي :

تعلقة بمنهج السلوك المعتدل الذي تبناه الخطاب الشرعي الداعي الى الوسطية والاعتدال ، لان الافرازات السلبية للغزو الفكري الذي ابتليت به الامة ادى الى الانحراف في السلوك المجتمعي على مستوى الفرد والجماعة ، والبعد عن منهج الوسطية والأعتدال ، مما دفع البعض الى التطرف في الفكر ، واتبعه ذلك تطرف في السلوك ، المؤديان الى الفرقة والصراع بين المسلمين .

الدعوة الى الحوار والتسامح بين جميع اطياف المجتمع وما لها من آثار متنوعة في السلم المجتمعي والتي تكمن في نهايتها إلي تحقيق السلام بين طوائف المجتمع الواحد.

نظرة الاسلام الشمولية للانسانية جميعا وبأنها تتمتع بالحقوق والواجبات الانسانية المشتركة بين جميع اطياف المجتمع ، والتي تهدف الى جمع كلمة المسلمين و لم شملهم والعمل المشترك بينهم في الحفاض على كيانهم والابتعاد عن الشتات والتشرذم ومواجهة الانحراف الاخلاقي والسلوكي بجميع صوره واشكاله .

نظرة الاسلام العالية في جميع السلوكيات الايجابية التي يحفها صفة العفو والتسامح المجتمعي ، والذي من خلال هذا البحث نثبت بان الاسلام له نظرة عالية في جميع السلوكيات الايجابية ، لأن الناس يستجيبون بالخلق العالي السمح أكثر مما يستجيبون بالشدة والقطيعة والعنف .

لذلك كانت الأخلاق وأثرها في السلم المجتمعي من اهم الموضوعات السلوكية للقضاء على التطرف في الفكر والسلوك المجتمعي ، فالتسامح يقرب وجهات النظر بين المسلمين مع إظهار مميزات وسمات الاحكام الشرعية لتحقيق السلم المجتمعي مع احترام الاراء المذهبية والعادات الاجتماعية الأخرى .

لذلك اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مبحثين :

المبحث الاول : التسامح والسلم المجتمعي ، التأصيل ، والضوابط ، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : التسامح ، تأصيله ، وضوابطه ، ومقصده :

المطلب الثاني : السلم المجتمعي ، تأصيله اللغوي والشرعي:

المبحث الثاني : أثر التسامح في السلم المجتمعي ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أهميته التسامح ومقوماته وأثرها في السلم المجتمعي :

المطلب الثاني: أسس التسامح ، ومعالجته للعنف وأثرها في السلم المجتمعي :

وختاما نسال الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وان يتقبل منا هذا العمل ، وان يجعله في صحائف أعمالنا انه سميع مجيب الدعاء .

المبحث الاول : التسامح والسلم المجتمعي ، التأصيل ، والضوابط ، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : التسامح : تأصيله، وضوابطه، ومقصده، وأنواعه :

أولا : التأصيل اللغوي والاصطلاحي للتسامح :

التسامح لغة : الأصل (سمح) جذر يدل في عمومه على معان ، منها :

الْمُسَامَحَةُ : الْمُسَاهَلَةُ ، وَتَسَامَحُوا تَسَاهَلُوا، وَسَامَحَ إذا سَاهلَ في الامر ، ومنه السماحة فِي البيع أَي التسهيل[1] ، قال عليه الصلاة والسلام : "رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى"[2]

السَّمْحُ : الْجَوَّادُ ، وسَمَحَ بِهِ ، ويَسْمَحُ فِيهِمَا أَيْ جَادَ وأَعْطَاهُ ، أَوْ وَافَقَ عَلَى مَا أُرِيدَ مِنْهُ[3] .

تَسَامَحَ وَتَسَمَّحَ : أَصْلُهُ الِاتِّسَاعُ ، وَمِنْهُ يُقَالُ فِي الْحَقِّ مَسْمَحٌ أَيْ مُتَّسَعٌ[4] .

التسامح اصطلاحاً :

تفاوتت عبارات العلماء في تعريف التسامح إلى عدة معان :

عرفها الطاهر بن عاشور بقوله : سهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل ، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال، والعدل، والتوسط[1] .

---

١ ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢/ ٢٢٠ ، والمغرب في ترتيب المعرب ١ / ٢٣٤ ، ومختار الصحاح ١٥٣/١ ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٢٨٨ .

٢ أخرجه البخاري ، كتاب: البيوع ، باب: السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ ، رقم (٢٠٧٦) ٥٧/٣.

٣ ينظر : مختار الصحاح ١ / ١٥٣ ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٢٨٨ .

٤ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٢٨٨ .

ثم قال في موطن آخر : السماحة. وهي سهولة المعاملة في اعتدال، وتظهر سهولتها المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه[٢].

وعرفها الدكتور عبد الله الطريقي بأنها : هو التعامل مع غير المسلم وفق الحكمة واللين والمعروف ، سواء في ذلك التعامل في الخطاب ، أو في مطلق التصوف[٣] .

وعرفها الجرجاني إذ قال : "المسامحة: ترك ما يجب؛ تنزهًا"[٤].

وعرفها البركتي بقوله : "المُسَامَحة: هي المساهلُة والموافقة على المطلوب والصفحُ عن الذنب"[٥].

وقيل في تعريفها ايضاً ، السماحة : بأنها سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه المشادّة[٦].

هذه التعريفات بجملتها أخذت بالفهم اللغوي للفظة (السماحة) وخصت به المسلك التعاملي وتحديد علاقة الفرد مع الآخر ، التي تتسع للفكر والرأي والتعايش ، وما يترتب عليها من علاقات ايجابية ، أما الطاهر بن عاشور فقد ذكر (الاعتدال والتوسط) التي هي المسلك الخلقي الهام للمسلم ، وعلاقته مع غيره .

استنباط القواعد الفقهية والاصولية من لفظ التسامح :

والناظر في نصوص القرآن لم يجد للفعل (سمح) أو مشتقاته فيه ، لكن وردة كلمات في معناه هي مرادفة لمفهوم التسامح والتي بنا الفقهاء منها قواعد فقهية وأصولية ضابطة لكثير من الفروع الفقهية : كاليسر والتيسير ، والإحسان ، والعفو ، والإعراض عن الجاهلين ، ودفع السيئة بالحسنة وغيرها كثير ، منها على سبيل التمثيل لا الحصر :

"حقوق الله مبنية على المسامحة"[٧].

الْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ[٨] .

---

١ مقاصد الشريعة الإسلامية ٣/ ١٨٨ .

٢ المصدر نفسه ٢/ ٥٦١ .

٣ الثقافة والعلم الآخر ص٥٨ .

٤ التعريفات ١/ ٢١٢ .

٥ التعريفات الفقهية ١ / ٢٠٣ .

٦ ينظر : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص٢٥ .

٧ القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير ١/ ٢٥٧ .

٨ ينظر : المنثور في القواعد الفقهية ٣/ ١٦٩ ، ومجموعة الفوائد البهية على القواعد الفقهية ٤٩/١ .

"ترك الإحسان لا يكون إساءة"[1] ، والاحسان : وهو فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير"[2].
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"[3]

ثانياً : التأصل الشرعي لمفهوم التسامح :

كما ذكرنا سابقا أن كلمة (التسامح) أو أحد مشتقاتها لم ترد في الكتاب الله تعالى ، لكن وردت كلمات مرادف لها أو في معناها في آيات وأحاديث كثيرة ، منها :

الآيات القرآنية :

قوله تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"[4] ، قال القرطبي وغيره: "هذه "هذه الآية من ثلاث جُمل تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات .

فقوله سبحانه: "خُذِ الْعَفْوَ" دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين .

ودخل في قوله: "وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ" صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وفي قوله : "وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"[5] .

قال الغزي : "وهذه الآية هي الجامعة لمكارم الأخلاق"[6].

قال جعفر الصادق : "أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"[7].

يقول تعالى: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[8] والمعنى المقصود منها كما ذكرها السعدي في تفسيره : لا

---

١ موسوعة القواعد الفقهية ٢/ ٢٨٠ .

٢ موسوعة القواعد الفقهية ٢/ ٢٨٠ .

٣ أخرجه مسلم ، كتاب :الصيد والذبائح ، باب :الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ ، رقم : (١٩٥٥) ، ٣/ ١٥٤٨ .

٤ الأعراف : ١٩٩ .

٥ ينظر : تفسير القرطبي ٧/ ٣٤٤ ، وموسوعة القواعد الفقهية ١/ ١/ ٣٦ .

٦ ينظر : موسوعة القواعد الفقهية.

٧ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٣٤٤ – ٣٤٧ ، ونظم الدرر ٩ /٢٠٣، والدر المنثور ٣ /٢٨٠.

٨ فصلت : ٣٤ .

يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها[1] لذلك قال تعالى : "هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلا الإحْسَانُ"[2]، ثم أمر أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين ، وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة[3].

من السنة :

قالُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنيفِيَّةُ السَّمْحَةُ"[4] .

وقد رواه عبد الرزاق في مصنفه "أَحَبُّ الْأَدْيَانِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ"، قِيلَ: وَمَا الْحَنِيفِيَّةُ؟ قَالَ: "السَّمْحَةُ" قَالَ: "الْإِسْلَامُ الْوَاسِعُ"[5] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: " الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ "[6].

إن من رحمة الله تعالى بخلقه أن جعل شريعته التي شرع لهم على دين الفطرة، وجعل السماحة واليسر أول أوصاف هذه الشريعة وأكبر مقاصدها، وبذلك يتفق مقصد التشريع والديانة مع فطرة الله التي فطر الناس عليها ،"صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً"[7] .

---

١ ينظر : تفسير السعدي ١ /٧٤٩ .

٢ الرحمن : ٦٠ .

٣ المصدر نفسه .

٤ أخرجه البخاري ، كتاب : الايمان ، باب : الدين يسر ، رقم (٣٩) ١/ ١٦.

٥ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٣٨) ١ / ٧٤ .

٦ أخرجه الإمام أحمد في المسند ، رقم (٢١٠٧) ، ٤/ ١٧.

٧ البقرة: ١٣٨.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، " أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَتَصْدِيقٌ بِهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ" قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "السَّمَاحَةُ وَالصَّبْرُ "[1].

ولعل الرابط ما بين الايمان والسماحة ، كون الثانية بيان للأولى ، وهذه اشارة الى أن الايمان الحق لا ينتج الا سماحة .

فيظهر من الأحاديث المتقدمة أن دين الإسلام دين حنيفية سمحة ، ومعنى الحنيفية : الأعمال المائلة عن الباطل الى الحق ، والتي لا حرج فيها ولا تضييق ، والسمحة : السهلة القابلة للاستقامة المنقادة إلى الله المسلمة أمرها إليه لا تتوجه إلى شيء من الكثافة والغلظة والجمود[2].

ومما تقدم من هذه النصوص يمكننا الاستدلال على ما يلي :

١. ان السماحة والرفق ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، والعفو هو مسلك خلقي أصيل ، ومبدأ يدعو اليه ديننا الحنيف تلزم المسلم الاخذ بها والتخلق بأخلاقها ، ويحارب التعصب والظلم والتجاوز على حقوق الآخرين .
٢. ان هذا المسلك هو مادة خلقية لغايات عظيمة متصلة بمقاصد وأهداف نبيلة ، دالة على النظرة الاستشرافية البعيدة التي يتسم بها المسلم .
٣. التسامح لا يعني التساهل ، أو التنازل عن المبادئ والقيم ، ولكن التواصل والاستفادة من الآخرين ، وبيان محاسن الإسلام[3] ، كما في قوله تعالى "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"[4].

ثالثاً : ضوابط التسامح:

ان للتسامح حدود ومعالم تميزه في المفهوم وعمق النظر ، وفي الموضوع ، وما يتصل بكل هذا من مقصد وضبط تشريعي يوجهه ويعمق رسمه المميز له ، فكان لا بد من ضوابط لهذا التسامح يمكن اجمالها في الآتي :

١.ضمان عدم الترويج لمعتقدات تؤدي الى تفكيك أواصر المجتمع وتدميره : لان ذلك

---

١ أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم (٢٢٧١٧) ، ٣٩٠/٣٧، ومكارم الأخلاق للخرائطي ١/ ١٩٧ .

٢ ينظر : فيض القدير ١/ ١٧٠ .

٣ ينظر : التسامح الاسلامي، قراءة في معطياته الفكرية ص٢٥ .

٤ الأعراف : ١٩٩ .

يؤدي الى أن تشيع الفوضى والإلحاد ، وتعرض مصالح الوطن للخطر ، والتعدي على أموال الناس بالباطل ، كما في قوله تعالى "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"[1] .

٢.اهمية المعيار الموضوعي لمفهوم التسامح ، إذ يقوم على أساس معرفة الثوابت والمتغيرات بدقة تامة ، لأن مفهوم التسامح انما يكون في الامور التي ليست من الحقوق والواجبات فلا يطال القانون والقضاء والاحكام الثابتة مجال التسامح ، بل ان ما يتسامح فيه هو أمور التعايش والمتغيرات ، فينبغي ألا يخلط ولا يساوي المرء بينهما ، فالثوابت تبقى ثوابت لا تخضع للمساومة ، أو التنازل ، أو التحول ، واما المتغيرات فإن للمرء ان يعيد النظر فيها في ضوء ما يستجد في واقعه وزمانه بغية ترجيح ما يتناسب مع زمانه ومكانه وواقعه ، ويلاحظ التمييز بين ما يتسامح فيه وما لا يتسامح فيه من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، واذا عرفت هذا أمكن عندها بيان ما يعطى تسامحا[2] .

ولهذا جاء في الحديث الصحيح عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَتْ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا، فَأَتَى أَهْلُهَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَكَلَّمُوهُ، فَكَلَّمَ أُسَامَةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أُسَامَةُ، لَا أَرَاكَ تُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا، فَقَالَ: "إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[3].

فيؤخذ من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتسامح في حق نفسه ، اما في حقوق الله تعالى فكان يقيم الحدود ولا يتهاون فيها ، كما روت ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ

---

١ المائدة : ٥٧ .

٢ ينظر : مفهوم التسامح في الاسلام وصلته بمفهوم الواجب ص٥ ، والتسامح الاسلامي قراءة في معطياته الفكرية ص٢٥ .

٣ أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم (٢٥٢٩٧) ٤٢/ ١٧٦ .

صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[1] ، ولهذا ينبغي التمييز بين الامور التي فيها مدخل للتسامح والتي ليس فيها مساغ للعفو والتسامح ، فان التسامح في غير موضعه يؤدي الى التناحر والتباغض واقامة العداوة والشحناء بين أفراد المجتمع .

رابعاً : التسامح مقصد من مقاصد هذا الدين :

وقد دل استقراء الشريعة على أن التيسير والسماحة والرحمة من مقاصد هذا الدين الحنيف ، ولعل هذا من خصائص هذه الشريعة .

حيث جعلهه الطاهر بن عاشور في كتابه : "مقاصد الشريعة الإسلامية" من أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها ، إذ قال : "السماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها"[2] .

وقد علل على أن السماحة من أولَ أوصاف الشريعة وأكبرَ مقاصدها، بقوله :"ولاعتبار السماحة أولَ أوصاف الشريعة وأكبرَ مقاصدها، يُرفع بها العنت والحرج عن الفرد والجماعة"[3].

عدَّ علمائنا الاجلاء السماحة من أكبر الصفات المحمودة التي اتصفت بها شريعتنا الاسلامية وأسموها بالتيسير المعتدل لانها الطرف المحايد بين الافراط والتفريط ، وجعلوا الاعتدال من أبرز مقومات هذه الصفة الفاضلة للسماحة بل من أبرز مقوماتها ، لأنه الحلقة الوسط بين الافراط والتفريط .

يقول الطاهر بن عاشور "وقد جعلوا السماحة من أكبر صفات الإسلام لوقوعها طرفاً بين الإفراط والتفريط. ونَعَتوها بالتيسير المعتدل الذي شهد له قوله سبحانه: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[4]وهو ما يلفت الرسولُ – صلى الله عليه وسلم – النظرَ إليه بقوله: "أحبّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة".

---

١ أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، رقم: (٢٣٢٨)، ٤/ ١٨١٤ .

٢ مقاصد الشريعة الإسلامية ٣/ ١٨٨ .

٣ المصدر نفسه ١/ ٦٩٠ .

٤ البقرة: ١٨٥.

وقال أيضاً "وإن قوام الصفات الفاضلة للسماحة هو الاعتدال، أي التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، لأن ذينك الطرفين يدعو إليهما الهوى الذي حذّرنا الله منه في مواضع كثيرة"[1]، منها قوله تعالى: "وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ"[2] .

وقد اعتبروا السماحة أكمل وصف لاطمئنان النفس، وأعونَ على قبول الهدي والإرشاد .

يقول الطاهر بن عاشور :"إن للسماحة أثراً في سرعة انتشار الشريعة وطول دوامها، إذ أرانا التاريخ أن سرعة امتثال الأمم للشرائع ودوامَهم على اتباعها كان على مقدار اقتراب الأديان من السماحة. فإذا بلغ بعض الأديان من الشدّة حداً متجاوزاً لأصل السماحة لحِق أتباعَه العنتُ و لم يلبثوا أن ينصرفوا عنه أو يفرّطوا في معظمه"[3]

لذلك نوه علماء المسلمين بما اتسم به شرعنا الحنيف من يسر أزاح كل عسر، ومن سماحة محمودة نفت كل جرح ، ومن وسطية متزنة جلبت كل نفع والاعتدال ودفعت كل ضر وشطط.

خامساً : أنواع التسامح :

التسامح أحد الأخلاق الإسلامية والإنسانية الرفيعة، وفيه معنى العفو والصفح والحلم، إلى جانب السهولة ولين الجانب، ونبذ الحقد والكراهية، فهو يتعلق بأحد أسس العلاقات الإيجابية بين الناس، وأثره الواضح في السلم المجتمعي، وهو لا يتعلق بجانب دون جانب ، ولا بالفرد وحده، بل يتعدى ذلك ليشمل الكثير من جوانب الحياة، ويشمل الفرد والجماعة على حد سواء، فللتسامح مجالاته المتعددة، ويترتب عليه آثاره الطيبة أيضاً ، وهو على أنواع :

١. **التسامح الديني** : يتمثل التسامح الديني في التعايش بين جميع متبعي الأديان السماوية ، ويسمح بالحرية والتعددية الدينية وممارسة الشعائر الدينية بحرية وبدون تعصب ، ولا يجعلها أساساً للإقصاء والتهميش .
٢. **التسامح العرقي** : يتمثل في تقبل الآخر بالرغم من وجود اختلاف في العرق أو اللون ويترتب عليه التخلي عن الميز العنصري بسبب المنابت والأصول .

---

١ مقاصد الشريعة الإسلامية ٣/ ١٨٨ .

٢ سورة ص : ٢٦ .

٣ مقاصد الشريعة الإسلامية ١/ ٦٩٠ .

٣. **التسامح الفكري والثقافي:** يتمثل في الابتعاد عن التعصب للأفكار، واحترام فكر ومنطق الآخرين ، والتأدب في الحوار والتخاطب من دون تعصب أو اصطفاف .

٤. **التسامح السياسي** : يتمثل في ضمان الحقوق والحريات السياسية الجماعية والفردية، من قبل السلطة وفيما بينهم داخل المجتمع تحقيقاً لمبدأ أو منهج الديمقراطية[١] .

المطلب الثاني : تأصيل السلم المجتمعي :

أولا : التأصيل اللغوي والاصطلاحي للسلم الاجتماعي :

السلم لغة :

السَّلْم والسِّلْم والسَّلَم، وَقد قُرئ على ثَلَاثَة أوجه يُذْهَبُ بِهِمَا إِلَى المُسالمةِ[٢]، وَهُوَ مِنَ السَّلَامَةِ أَيْضًا ؛ لِأَنَّ النَّازِلَ عَلَيْهِ يُرْجَى لَهُ السَّلَامَةُ[٣].

والسِّلْم: ضد الْحَرْب، وَمِنْه اشتقاق السَّلامَة ، قال تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا} ؛ لأن كل واحد من المتحاربين يسلم من أذى الآخر ويخلص منه[٤] .

والسِّلْمُ: المُسَالِمُ. تَقُولُ: أَنا سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَني. وَقَوْمٌ سِلْمٌ وسَلْمٌ: مُسالِمونَ، وتَسالَمُوا: تَصَالَحُوا[٥].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : السِّلْمُ وَالسَّلْمُ وَاحِدٌ وَهُوَ الصُّلْح[٦] .

فكون السلم من أسماء الصلح لا خلاف فيه بين أئمة اللغة .

ومما تقدم يمكننا القول: (السِّلْمُ) كلمة جامعة لمعاني عدة ، تعبر في مضمونها عن التصالح والتفاهم والتقارب ونبذ الخلاف ، وتحكي رغبة جامحة في أوساط كل مجتمع يطمح للعيش بأمان ، وهي غاية وهدفاً نبيلاً لجميع الأمم والشعوب .

المجتمع لغة :

---

١ ينظر : الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة ص٧٠ ، والتسامح الاسلامي قراءة في معطيات الفكر ص٥١ .

٢ ينظر: جمهرة اللغة ٢/ ٨٥٨ ، ولسان العرب ١/ ٣٠٣ ، وتاج العروس ٢/ ٢٤٩ .

٣ مقاييس اللغة ٣/ ٩١ .

٤ ينظر : شرح غريب ألفاظ المدونة ١ / ٥٨ ، والعين ٧/ ٢٦٦ ، وجمهرة اللغة ٢/ ٨٥٨ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١/ ١٢٥.

٥ ينظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٣٥٢ ، ولسان العرب ١٢/ ٢٩٣ .

٦ ينظر : تهذيب اللغة ٤/ ٩٤ ، والمخصص ٣/ ٣٨٠ .

لفظ المجتمع : مشتقة من المصدر تَجمَّعَ وجَمْعُ وجَمَاعَةُ ، وهي من ألفاظ التوكيد الدالة على الشمول ، وتدل في معناها على اجتماع المتفرق وانضمام بعضه الى بعض ، وضده: التفريق والإفراد .

واحسن الرازي في مختار الصحاح حين قال في بيان هذه اللفظة تَجَمَّعَ الْقَوْمُ اجْتَمَعُوا مِنْ هُنَا وَهُنَا[1] ، وهو تعبير يلحظ منه استحضار صاحبه لمبدأ نشأة المجتمعات.

قال الفيومي : وَالْجَمْعُ : الْجَمَاعَةُ تَسْمِيَةً بِالْمَصْدَرِ وَيُجْمَعُ عَلَى جُمُوعٍ ، وَالْجَمَاعَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُطْلَقُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ[2].

وَقَالَ سِيبَوَيه: هُوَ مَن يَجْمَعُ مِن كُلِّ شيءٍ[3].

قال المُطَرِّزِيّ : الجَمْعُ: تَأْلِيفُ المُتَفَرِّقِ ، وَهُوَ مَصْدَرُ جَمَعَ ، وهو ضَمُّ الشَّيْءِ بتَقْرِيبِ بَعْضِه مِن بَعْضٍ. يُقَالُ: جَمَعْتُه فاجْتَمَعَ ، واجتمع القومُ: انضمَّ بعضُهم إلى بعض، اتّحدوا واتَّفقوا[4] .

ومما تقدم يمكننا القول : أن المجتمع من الفاظ العموم الدالة على الشمول ، وهي تدل في معناها على اجتماع الناس وانضمام بعضهم الى بعض ، في مجتمعات متفاوتة تربطهم أهداف مشتركة ومصير مشترك مشتقة من المصدر جَمْعُ وجَمَاعَةُ .

المجتمع اصطلاحا: لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن معناه اللغوي الا ببعض الضوابط حيث عرف بأنه : عدد كبير من الأفراد المستقرين، الذين تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة ، تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها[5] .

تعريف السلم الاجتماعي :

تفاوتت العبارات في تعريف السلم الاجتماعي على انه مركب اضافي، وان افضل ما قيل فيه:

---

١ مختار الصحاح ١ / ٦١ .

٢ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ١٠٨ .

٣ تاج العروس ٢٨/ ٢٤٤ .

٤ المغرب في ترتيب المعرب ١ / ٨٩ ، وينظر : تاج العروس ٢٠/ ٤٥١ ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٣٩٣ . ٣٩٣

٥ ينظر : المجتمع الإسلامي ١ / ٤٤ ، والمجتمع والأسرة في الإسلام ١ / ٧١ .

ما عرفه هاشم الزهراني حيث قال : هو إقامة أمن في الامة بعتبارها وحدة واحدة ، وذلك بتحقيق العصمة والحماية لحقوق العامة ومصالحها الجماعية المتمثلة بوحدتها الدينية والاجتماعية والفكرية[1] .

وقد عرفه حسن الصفار بقوله : ونقصد به حالة السلم والوئام داخل المجتمع نفسه ، وفي العلاقة بين شرائحه وقواه[2].

ومما تقدم يمكننا القول : إن تحقيق العصمة لأموال الناس ودمائهم جميعا وحمايتها من التسلط عليها ، وتحقيق المصالح المشتركة بينهم هي من أهم أُسس فشُوِّ الأمن الاجتماعيِّ، فيشعُرُ كلُّ مُسلمٍ أنه في مُجتمعٍ أفرادُه مُتعاطِفون مُتحابُّون، يُكرِمون المُحسِن ويُعينُونَه، ويستُرون على المُخطِئ ويرحَمونَه، فينشأُ من ذلك كلِّه مُجتمعٌ آمنٌ، مُستقرٌّ مُتماسِكٌ قويٌّ .

ثانياً : التأصيل الشرعي للسلم المجتمعي:

إن السلم في المُجتمع ضرورةٌ من الضرورات الحياتيَّةٌ للعيش الهنِيء الرَّغيد، وتحقيق التقدُّم والرُّقيِّ، فلذلك توالَت النصوصُ من القرآن والسنَّة في التأكيدِ على السلم الاجتماعيِّ والحرصِ عليه؛ لينعمَ المُجتمعُ بأسرِه بالهُدوءِ والاستِقرار، ويتمكَّنُ من إقامة شرعِ الله، وتسخيرِ الأرض وعُمرانها في تحقيقِ الخير والصلاحِ .

تأصيل السلم الاجتماعي من الكتاب :

١. يقول تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ"[3] في هذه الآية أمر واضح ودعوة صريحة للالتزام بالسلم الاجتماعي، وتقرير له كشعار للمجتمع، وتحذير من الانزلاق عن مساره ، ورغم ان اكثر المفسرين قالوا بأن المقصود من السلم في الآية الكريمة هو الإسلام والطاعة لله، الا ان بعض المفسرين رجح ان يكون المقصود هو السلم بمعناه اللغوي أي : السلم على الصلح وترك الحرب داخل المجتمع ، وهذا أيضا راجع إلى هذا المعنى لأن عند الصلح

---

١ ينظر : الأمن مسؤلية الجميع : ص١٤ .

٢ ينظر : السلم الاجتماعي ١ / ٦٠ .

٣ البقرة : ٢٠٨ .

ينقاد كل واحد لصاحبه ولا ينازعه فيه[1].

ويجوز ان يكون المراد من السلم هنا المعنى الحقيقي ويراد السلم بين المسلمين يأمرهم الله تعالى بعد ان اتصفوا بالإيمان بأن لا يكونوا بعضهم حرباً لبعض كما كانوا عليه في الجاهلية.

٢. قال تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا"[2].

قال الطبري : في تفسير قوله تعالى: "وَاعْتَصِمُوا" يعني بذلك وتعلقوا بأسباب الله جميعًا ، وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله[3].

وأما "بِحَبْلِ"، فإنه السبب الذي يوصَل به إلى البُغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان حبلا ، لأنه سبب يُوصَل به إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزَع والذّعر[4].

٣. قال تعالى: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"[5].

قال الطبري : في تفسير قوله تعالى: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا"، ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم ، فتضعفوا وتجبنوا[6] ، وفيه اشارة واضحة الى الآثار التدميرية للتراع الداخلي ، فهذه الاشارة تقول : نتيجة التراع الفشل وانهيار القوة.

ومن السنة :

١. قوله صلى الله عليه وسلم " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[7] ، فموطن الشاهد في هذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم "آمنًا في سِربه"، وهو الْمُبَالَغَةَ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ وَلَوْ فِي بَيْتٍ بسيط[8]، فجعلَ النبي صلى الله عليه وسلم الشُّعورَ بالأمن في المُجتمع أحد مُقوِّمات

---

١ ينظر : تفسير الرازي ٥/ ٣٥٢ ، وتفسير الزمخشري ١/ ٢٥٢ .

٢ آل عمران : ١٠٣ .

٣ ينظر : تفسير الطبري ٧/ ٧٠ – ٧١ .

٤ ينظر : تفسير الطبري ٧/ ٧٠ – ٧١ ، وتفسير الماوردي ١/ ٤١٤ ، وتفسير الزمخشري ١/ ٣٩٤ .

٥ الأنفال: ٤٦ .

٦ ينظر : تفسير الطبري ١٣/ ٥٧٥ .

٧ أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب : الزهد ، باب : القناعة ، رقم : (٤١٤١) ٢/ ١٣٨٧ .

٨ ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٢٥٠ .

السعادة والقنَاعة .

٢. قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في وصفِ هذا المُجتمع الآمِن : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "[١]

في هذا الحديث نبه النبي عليه الصلاة والسلام على معنى عظيم في ارتباط كل فرد بأمته ارتباط الجزء بكله، وهذا الارتباط يقتضي أمورا كثيرة منها ما جاء نصا في الحديث الشريف كتعظيمُ حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضًا ، ومنها ما يؤخذ مما يقتضيه التشبيه، ومن هذا أن الفرد منظور إليه في النظر الاجتماعي العام بما ينظر به إلى أمته، سواء أساواها في المستوى الذي هو فيه من رقي وانحطاط أم كان أسمى منها أو أدنى، فقيمته في النظر الاجتماعي العام هي قيمتها[٢].

٣. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ ؟ ، قَالَ: " مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ "[٣].

وَيَدِهِ "[٣].

والمراد من هذا الحديث هو الحث على ترك أذى المسلمين باللسان واليد والأذى كله[٤]، لأن كمال الإسلام والمسلم متعلق بخصال أخر كثيرة وإنما خص ما ذكر لما له من التأثير والحاجة الخاصة لما يحتاجه العبد المسلم من تكوين الألفة بين افراد المجتمع ، إذا المفهوم من الحديث: أن من لم يسلم المسلمون من لسانه لا يكون مسلماً، نعم يخرج عن الإسلام الكامل إذا لم يسلم المسلمون من لسانه ويده، و لم يخرج عن أصل الإسلام[٥].

مما تقدم يمكننا القول :

وهذا كله أثرٌ من آثارِ شُيُوع الأمن والسلام الاجتماعيِّ، فينعكِسُ ذلك إيجابًا على الأمة، وتظهرُ بمظهَر العزَّة والقوَّة، بسبب تلاحُم أفرادِها وترابُطهم، وتعايُشهم فيما بينهم بالحبِّ

---

١ أخرجه مسلم ، كتاب : كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَاب، باب: تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ ، رقم (٢٥٨٦) ٤/ ١٩٩٩ .

٢ ينظر : مجالس التذكير من حديث البشير النذير ١ / ١٠١ ، وتطريز رياض الصالحين ١ / ١٧٤ .

٣ أخرجه البخاري : كتاب :الإيمان ، باب: أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ ، رقم (١١) ١/ ١٢ .

٤ ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال ١/ ٦٢ .

٥ ينظر : شرح النووي على مسلم ٢/ ١٠ ، وشرح البخاري للسفيري ١/ ٣٧١ .

والمودَّة، والتناصُح والتباذُل، والتعاوُن والسَّتر، والصَّفح والعدل والإنصاف والعفو عن المُسيء.

المبحث الثاني : التسامح وأثره في السلم المجتمعي ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أهميته التسامح ، ومقوماته، وأثرها في السلم المجتمعي:

أولاً : أهمية التسامح ، واثره في السلم المجتمعي :

إن السلم في المجتمع هو غايةٌ من أجل الغايات الشرعية لتحقيق الامن والسلام ، ومقصد عظيم من مقاصد الدين، وضرورة من ضرورات العمران البشري والنهوض الحضاري ، يضرب الله به الأمثال، حيث قال تعالى : "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ"[1].

وكذلك قرن الباري عزوجل بين نعمة العيش الرغيد ونعمة الأمن، وامتنَ بهما على عباده، حيث قال تعالى : "فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ"[2] وحديثنا عن أهمية التسامح في بناء السلم المجتمعي يكون على مستوى صعيد علاقة المجتمع بمجتمعات أخرى ويطلق عليه السلام الخارجي ، أو يكون على مستوى الوضع الداخلي للمجتمع ، ويطلق عليه السلام الداخلي ، كما سأبين ذلك مفصلا :

أهمية التسامح في السلام الخارجي :

جاء الإسلام دعوة للسلم والسلام على مستوى العالم اجمع والبشرية جمعاء، وقد تكرر الحديث عن السلم والسلام في اكثر من خمسين آية في القرآن الكريم ،كما يوجه الاسلام الأمة المسلمة الى انشاء العلاقات السلمية القائمة على الحوار والتسامح والاحسان مع الأمم الاخرى ، حتى في سياق عرض مبادء الدين والخلق الكريم الذي يدعو اليه مع الامم الاخرى تجده يسلك مسلك المحاور معهم ، فمن ذلك قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" ففي هذا النص بيان للرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعو الناس جميعا الى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن ، لذلك كانت لدعوة الحوار والتسامح أثرها البالغ لحفظ السلام في المجتمع ، وذلك لأن السلام هو الوسيلة الوحيدة التي تحقق الوفاق بين الشعوب، وعندما

---

١ النحل : ١١٢ .

٢ قريش : ٣.

يتحقق هذا المعنى النبيل تسود بين الشعوب المعاني التي خُلق الإنسان من أجلها، فنجد هناك تناغم بين البلدان المتجاورة مهما كان بينهم اختلاف سواء في العِرق أو الأصول أو الدين، وتبتعد عنهم تماماً روح الأنانية والكراهية التي لا يكون لها أساس[1].

أهمية التسامح في السلام الداخلي :

إن أهمية التسامح في المجتمع الداخلي كبيرة جداً ، لأن وجوده في المجتمع دلالة على وجود السلام الذي يحقق التوازن بين أفراد المجتمع ويقوي الأواصر المشتركة بين أفراده ويؤثر بشكل كبير على تطور أي مجتمع من المجتمعات وعلى أية صورة كان تطوره ، لذلك كان للتسامح بين أطياف المجتمع الواحد أثرها البالغ في الحفاظ على السلم المجتمعي والتي تكمن في نهايتها إلي تحقيق السلام بين طوائف المجتمع الواحد ، وتكمن في العمل على تنميته المجتمع في كافة المجالات ، لأنه عندما تتمتع دولة بالسلام تكون قادرة على تنمية نفسها وأن تجعل هناك خطة واضحة لتقدمها بين الدول ، وتكمن أهميته أيضاً بالمساعدة على تحفيز مقدرة الشباب على المساهمة في مستقبل أوطانهم ، لذلك كان تحقق السلم في أي مجتمع من المجتمعات هو عامل أساسي ومهم لتوفير الأمن والاستقرار ، أما إذا فقدت حالة السلم في المجتمع أو ضعفت بأي شكل من الاشكال، فإن النتيجة ستكون هي فقدان الأمن وزعزعة الاستقرار[2].

ثانياً : مقومات التسامح وأثرها في السلم المجتمعي :

للتسامح مقومات أساسية ينشأ من خلالها السلام في مختلف النواحي ، والتي هي من اهم المبادئ التي ارساها ديننا الحنيف في الدعوة الى السلم المجتمعي ، وهي الخلق الكريم الذي يحتاجه كل إنسان في المجتمع ليعم السلام على وجهه الصحيح ، وهذه المقومات هي:

١. **مراعات مبدأ العدل والمساواة** : ان نظرة الاسلام الى العدل والمساواة بين أفراد المجتمع هي نظرة عامة وشاملة سواء كانت بين المسلمين بعضهم مع بعض أم كانت مع غيرهم، لأن المجتمع الذي يتساوى الناس فيه أمام القانون، وينال كل ذي حق حقه، ولا تمييز فيه لفئة على أخرى ، تطمئن فيه النفوس وتهدأ الخواطر ويشعر كل فرد في المجتمع بأنه في مأمن من أي متجاوز يتطاول على ماله أو حياته أو عياله ، هذا المجتمع تقل فيه دوافع

---

١ ينظر : الأمن مسؤلية الجميع : لهاشم الزهراني ص١٦، والمجتمع والأسرة في الإسلام ١ / ٧١ .

٢ ينظر : الأمن مسؤلية الجميع لهاشم الزهراني ص١٧ ، والسلم الاجتماعي لحسن الصفار ، ١ / ٦٣ .

العدوان، وأسباب الخصومة والنزاع ، ومن ثم يجب ضبط العدل والمساواة بالتسامح ، فلا يضيع حق أو ينتقص ، أو يجار فيه ، كما في قوله تعالى "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون"[1] .

٢.وجود قاعدة راسخة للعلاقات بين أفراد المجتمع :

إن من أجلِّ ما يُبنى عليه السلام في المُجتمع: وجود قاعدةٍ راسِخةٍ ثابتةٍ من الأُخوَّة الإيمانيَّة، التي تُؤسِّسُ العلاقات بين أفراد المُجتمع تأسيسًا قويًّا ثابتًا فتشيعُ بينهم أواصِرُ المحبَّة والإيثار ، والعفو والتسامح ، والتناصُر والتعاوُن ، وحبِّ الخير بعضِهم لبعضٍ ، وغير ذلك من صُور العلاقات الاجتماعية الداعية الى الخلق الكريم ، لأن الحياة في واقعها مجموعة ازمات ومصائب فعندما تحل بأحد أزمة لا يوجد طريقا للخلاص إلا في أحضان أخيه المؤمن وقد قال صلى الله عليه وسلم "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[2] ، فعندما يشعر كل فرد في المجتمع بانه اخ للفرد الاخر ، هذا الخلق المتبادل بين الفرد والاخر هو اساس التضامن والتماسك في المجتمع التي هي من أعظم مُقوِّمات السلم والآمِن في المُجتمع[3] .

٣.الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

المجتمع الإسلامي؛ مجتمع يصلح نفسه بصورة ذاتيه من خلال منظومة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالإضافة الى ارساء قيم ومبادئ الاخلاق الحسنة التي تدعو الى العفو والتسامح ونبذ العنف ، والتي بها الغا العنف والتشدد والتطرف بجميع صوره واشكاله ، فضلا الى دعوته الى نبذ فضاضة القول ، ودعا الناس الى اللين في القول والرفق للمخالف ، واحاطة الدعوة بكل السجايا الطيبة ، فهو مجتمع متقدم دائماً إلى الأفضل. فأي مظهر سلبي سيُقابل بمواجهة شاملة من قبل أبناء المجتمع بأسره تدفع باتجاهين نحو إصلاح الخلل

---

١ المائدة : ٨ ، وينظر : التسامح الاسلامي قراءة في معطيات الفكر ص٤٦ .

٢ أخرجه مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، رقم (٢٦٩٩) ، ٤/ ٢٠٧٤ .

٣ ينظر : التسامح الاسلامي قراءة في معطيات الفكر ص٢٩ ، ومفهوم التسامح في الاسلام ص١٧ .

وهو النهي عن المنكر ، واتجاه نحو إشاعة الأمر بالمعروف والتسامح والتقارب ، وهذه الآلية من أهم الوسائل التي تحصن المجتمع ضد الانحراف والغلو والجريمة ، لأنها تخلق رأيا عاما ، يأخذ على عاتقه تنمية الأجواء الايجابية في المجتمع ، ويقلع الأجواء السلبية ، ولأهمية ذالك جاءت دعوة الإسلام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت ضل الآية الكريمة {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}[1] ، وذالك لضمان استقامة المجتمع ونظافة مسار حركته باتجاه الإصلاح والخير ، وهذا يعني إن حركة المجتمع هي نحو الأمام أخذاً بالمحاسن ونبذاً للمساوئ[2].

المطلب الثاني: أسس التسامح، وصوره، ومعالجته للعنف، وأثرها في السلم الاجتماعي

أولاً : أسس التسامح وأثرها في السلم الاجتماعي :

إذا نظرنا في المجتمعات التي ينتشر فيها العفو والتسامح والخلق الكريم لا نجد للعنف أليها مسلكاً ، لأن نظرة الاسلام الشمولية للانسانية جميعاً ، جعل لها حق التمتع بالحقوق والواجبات الانسانية المشتركة بين جميع اطياف المجتمع ، فالعفو والتسامح يقرب وجهات النظر بين المسلمين مع إظهار مميزات وسمات الاحكام الشرعية لتحقيق السلم المجتمعي مع احترام الآراء المذهبية والعادات الاجتماعية ، والتي يهدف من خلالها الى مواجهة الانحراف الاخلاقي والسلوكي بجميع صوره واشكاله ، لكن عندما تفقد المجتمعات مبدأ العفو والتسامح ينتشر العنف والتطرف ، وسأبين أسس التسامح وأثرها وهي كما يلي :

١. **احساس الجميع بالتعايش المشترك** : وذلك أن يعلَمَ كل من يعيش في مجتمع ما أنه لا يعيشُ لوحدِه في المُجتمع، ولا يحيَا لذاتِه أو لتحقيقِ مصالِحه الشخصيَّة فقط ، فلابد من بناء علاقات بين جميع افراد المجتمع تقوم على أسس من القيم الإنسانية المبنية على العفو والتسامح ونبذ الخلاف ، والتي لها الاثر في دفع أعضاء المجتمع إلى الاندماج فيه بصورة صحيحة ، والتي من خلالها يمكن تخطي الحالة الفردية إلى الحالة الجماعية ويصبح الفرد منتميا إلى المجتمع بدلا من أن يكون منتميا إلى ذاته، يأخذ بأخلاق المجتمع ويسلك سلوكه، وهذا هو التعايش الذي يريده منا الإسلام خلال الكثير من تعاليمه ومبادئه ،

---

١ آل عمران : ١٠٤ .

٢ ينظر : التسامح الاسلامي قراءة في معطيات الفكر ص٢٨ .

وبذلك قال تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[1]، فهذا الأمرٌ هو في غايةِ الأهمية ، له أثرُه البالِغُ في أمنِ وسلامة المُجتمع [2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له.

وإن كان شاهدا زاره، وإن كان مريضا عاده[3] ، وبهذا يعلمنا صلى الله عليه وسلم بالالتزام بكل ما يمسك الجماعة ويجعلها كتلة متراصة واحدة واذا كان هناك خلاف يؤدي الى الفرقة يجب نبذه واستأصاله بالمبادء والقيم التي علمنا اياها عليه الصلاة والسلام ، فالتعايش بهذا المعنى له آثار أخلاقية ، فمن آثار نبذ الخلاف والسؤال عن الغائب والدعاء له وان كان مريضا وجب عيادته

٢. **الشعور بالمسؤلية الفردية والجماعية** : إن الشُّعورَ بالمسؤوليَّة الفرديَّة والجماعيَّة من أهم أُسس بناءِ مُجتمعٍ آمنٍ مُستقرٍّ واعٍ مُتماسِك ، لأن الواعِيَ يشعُرُ بصدقٍ أنه مسؤولٌ عن نفسِه وأهلِه ومُجتمعه وأمَّته ووطنه، وقد عمل الاسلام على ايجاد هذا الاحساس في الانسان المسلم ، قال عليه الصلاة والسلام :"كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"[4]، فهذا الحديث يؤكد حجم المسؤولية التي تقع على عاتق كل انسان ، ولا يمكن اداء هذه المسؤولية الا في ظرف تسود فيه أجواء الامن والاستقرار والعفو والتسامح ، ولابد من ايجاد هذا الظرف لتسهيل المهمة امام الانسانية في استباب الامن والسلام ، لان الأمن والسلام هو نعمة من الله سبحانه وتعالى وسوف يُسألُ الناسُ جميعًا عن نعمة الأمن: هل شكَروها وحافظُوا عليها أم لا ؟ قال تعالى : "ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ"[5] ، والنعيم المسئول عنه يوم القيامة هو الأمن والصحة ، كما روي ذلك عن ابن مسعود ، وعبد الله بن عباس ومجاهد ، وسفيان الثوري ، وعامر الشعبي[6] .

---

١ التوبة: ١١٩ .

٢ ينظر : الأمن مسؤلية الجميع : لهاشم الزهراني ص١٤ .

٣ ينظر : المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي ٤/ ٣١١ ، والتنوير شرح الجامع الصغير ٨/ ٤٣٠ .

٤ أخرجه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : الجمعة في القرى والمدن ، رقم :٨٩٣ ، ٢/ ٥ .

٥ التكاثر: ٨ .

٦ ينظر : تفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٢ .

٣. **التعاوُن على البرِّ والتقوى، والحذَر من التعاوُن على الإثمِ والعُدوان** : وهذا أساسٌ عظيمٌ من أُسس بناءِ السلم الاجتماعيِّ، وهو التعاون على جميع وجوه الخير بكل اشكالها وصورها من التعاطف والتسامح والتوادد والتناصح والتراحم بين أعضائه، كل فرد فيه يحمل كما هائلا من العاطفة نحو الفرد الآخر ينظر إليه كما ينظر إلى نفسه، حتى يكون كامل الايمان كما قال صلى الله عليه وسلم "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[١] ، فيسدده بالنصيحة إذا كان محتاجا لها ، ويقدم له المال عند العوز، ويعرض عليه خدماته كلما ألمت به حاجة ، وبذلك يقول تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"[٢] ، وهذه صفة المجتمع الإسلامي الواعي المبني في تعاونه على البر والتقوى يكونوا كالجسد الواحد يعضد بعضه بعضا ، خلافا للمجتعات المتخلفة التي يسود فيها الجهل والظلم ومقت حقوق الاخرين ، التي يتولد منها العنف والتطرف ، والتي يعيش كل فرد فيه عالمه الخاص الذي لا يمت بأية صلة بعالم الآخرين .

ثانياً: صور التسامح وأثرها في السلم الاجتماعي :

إن الدين الإسلامي يركز على الأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة بين الناس ، إذ يوجه البشرية جميعا لتطبيق العدل والمساواة والتعايش الايجابي في ما بينهم ، وينهى عن الظلم والبغضاء والتعصب، ويدعو إلى احترام حرية الآخرين واحترام الرأي الآخر، ويرسم المنهج العملي لتحقيق هذه الأخلاق والسلوكيات.

وفي وقتنا الحالي أشد ما تحتاجه مجتمعاتنا وشعوبنا التعايش الإيجابي والتسامح بين جميع الأديان والثقافات والأعراق، ليسود التعاون والمحبة .

وخير قدوة لنا في تطبيق التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، والصحابة رضوان الله عليهم الذين اقتدوا بسيرته ومهجه في العفو والتسامح ، ونحن نكمل المسيرة ونقتدي بهم ونسير على خطاهم مع مراعاة التطور والتغير والفرق الزمني بين الشعوب والحضارات.

– فعن عبد الله بن علقمة الخزاعي عن أبيه قال: "بعثني النبي صلى الله عليه وسلم بمال إلى أبي سفيان بن حرب يفرقه في فقراء قريش وهم مشركون يتألفهم، .....، فلما قدمت

---

١ أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣ ،١/ ١٢ .

٢ المائدة : ٢ .

مكة دفعت المال إلى أبي سفيان فجعل أبو سفيان يقول: من أبر من هذا ولا أوصل يعني النبي صلى الله عليه وسلم إنا نجاهده ونطلب دمه وهو يبعث إلينا بالصلات يبرنا بها"[1].

إن بعث المال لأهل مكة مع ما كان بينهم من العداوة يظهر تسامح النبي صلى الله عليه وسلم حتى مع خصومه .

– عفوه وصفحه عن أشد خصومه يوم فتح مكة ، إذ اجتمع أهل مكة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وكلهم في وجل ينتظرون ماذا يصنع بهم الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء ما ارتكبوه من جرائر ضد الاسلام والمسلمين ، لكنه صلى الله عليه وسلم عفا عنهم ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة استعمل الزبير بن العوام على إحدى المجنبتين، وخالد بن الوليد على الأخرى وذكر الحديث وفيه : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طاف بالبيت، فجعل يمر بتلك الأصنام فيطعنها بسية القوس ويقول: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا"[2] حَتَّى إِذَا فَرَغَ وَصَلَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِعَضَادَتَيِ الْبَابِ ثُمَّ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَقُولُونَ؟" قَالُوا: نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ، وَابْنُ عَمٍّ رَحِيمٌ كَرِيمٌ، ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: " فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ:"لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"[3] فخرجوا فبايعوه على الإسلام[4] .

– كتاب النبي عليه السلام إلى أهل نجران في عقد الصلح معهم :"من محمد النبي صلى الله عليه وسلم للأسقف أبي الحارث وكل أساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، جوار الله ورسوله، لا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه، على ذلك جوار الله ورسوله أبدا، ما نصحوا وأصلحوا عليهم، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين"[5].

---

١ ينظر : كنز العمال ، رقم : ٢٥٥٨٠ ، ٩/ ١٧٦ .

٢ الإسراء: ٨١ .

٣ يوسف: ٩٢ .

٤ أخرجه النسائي في الكبرى ، رقم : (١١٢٣٤) ،١٠/ ١٥٤ .

٥ ينظر : فتوح البلدان ص: ٧٢ ، والبداية والنهاية ٧/ ٢٦٩ ، وحياة الصحابة ١/ ١٧١ .

فهذا الاتفاق يشمل كل الرعايا النصارى كهنة ورهبانا وراهبات ، وهو يضمن لهم الحرية والامن حسب مشيئتهم وبالمثل يحمي كنائسهم ومساكنهم وأماكنهم ، وكذلك يحمي من يزورها[1] .

– في فتح العراق بعث الصديق بخالد ابن الوليد الى العراق ، وأوصاه بأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله، عز وجل، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا من ذلك كله قاتلهم في الله، وأمره أن لا يكره أحدا على المسير معه، ....، فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم[2].

إن طابع الحكمة والمعاملة الحسنة في الدعوة الى الاسلام قبل القتال كانت تلازم الفاتحين حين الفتح ، وكان ذلك حرصا منهم على هداية الأعداء للإسلام وترغيبهم في قبوله .

– معاهدة الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لأهل القدس : "هذا ما أعطى عبد اللَّه عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم"[3].

فنجد من ذلك تأكيد الاسلام للحريات الأساسية لمخالفيه الذين يستظلون بظله ، إذ كفل لهم عقيدتهم وحافظ على مكانة رهبانهم ، وعلى أماكن عبادتهم من العبث والهدم ، كما كفل لهم حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية كما كفله لأتباعه ، وذلك في حدود النظام العام وحسن رعاية الأدب[4] .

– ومن الامثلة الرائعة في التسامح ، ما فعله صلاح الدين مع الصليبيين وقد عاثوا في المسلمين بالقتل والتذبيح والتشريد والتسليب في بيت المقدس عندما دخلوها في

---

١ ينظر : الاسلام في العقل العالمي ص١٦٠ .

٢ ينظر : البداية والنهاية ٩/ ٥١٣ .

٣ ينظر : تاريخ الطبري ٣/ ٦٠٩ ، وتاريخ الخلفاء الراشدين ص: ٢٧٤ .

٤ ينظر : العلاقات الدولية في الإسلام ص٣٠ .

(٤٩٢/٨/٧ه ، الموافق يوليو ١٠٩٩م) وكانت مذبحة كبرى حيث قتلوا أكثر من سبعين ألفا من المسلمين ، واستطاع صلاح الدين الأيوبي تحرير القدس في معركة حطين في يوم الجمعة (٢٧رجب ٥٨٣هـ ، الموافق ١٢اكتوبر ١١٨٧م) وانطلاقا من سماحة الاسلام فقد أطلق خلقا كثيرا ممن قبض عليهم من الإفرنج من الرجال والنساء منهن بنات الملوك ، ووقعت المسامحة في كثير منهم ، وشفع في الناس كثير فعفا عنهم ، وتسامح تجاه الفقراء الذين عجزوا عن دفع الجزية[1] .

ثالثاً: أثر التسامح في معالجة العنف :

أن أهم سجية تستمد الانسانية روحها منه هي السلوك الإيجابي الذي يحفه صفة العفو والتسامح المجتمعي ، ونظرة الاسلام العالية في السلوكيات الايجابية ، أعطت المرونة في معالجة كثير من المشاكل العالقة ، لأن الناس يستجيبون بالخلق العالي السمح أكثر مما يستجيبون بالشدة والقطيعة والجهل والتطرف .

لاشك أن من أسباب ظاهرة العنف التي تتفشى في المجتمعات هو الجهل والتطرف والذي يؤدي إلى سلب الأحقية عن الآخرين وهذا هو منشأ التطرف، عندما يعتقد أحدنا أنه على حق والآخرين على باطل بدون حجة منطقية ولا دليل عقلي ، فيحاول أن يثبت أحقيته من خلال القوة ، فالقوة هي الوسيلة البديلة عن الحوار والإقناع ودحض الدليل بالدليل والحجة بالحجة، من هنا نشأ العنف في المجتمعات التي يسودها الجهل والتطرف .

هذا ما نبذه الإسلام جملة وتفصيلا واستأصل هذه الظاهرة من جذورها ، فدعى إلى الحوار والتسامح بدلا من التزمت على الرأي واستخدام العنف ، وطالب المسلم بأن لا يتكبر على أصحاب الحق وليتواضع لهم ، وبهذه النظرة العالية في السلوكيات الايجابية تمكن الإسلام أن يقلع جذور العنف من المجتمع.

وبالغ الإسلام في نبذ العنف وابداء التسامح وعدم ظلم المسلم لأخيه المسلم ولا يحقره ولا يسلمه الى شر ، حيث قال عليه الصلاة والسلام "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ"[2] ، ففي الحديث الحث على التعاون، وحسن التعاشر، والألفة،

---

١ ينظر : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ١/ ٣٩٠ ، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ص٤٣٢ .

٢ أخرجه مسلم ، كتاب : البر والصلة والادب ، باب : تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله ، رقم ٢٥٦٤ ، ٤/ ١٩٨٦ .

والستر على المؤمن، وترك التسمع به، والإشهار لذنوبه[1] ، وهذا الخلق الايجابي لا يبلغ المرتبة المرجوة منه الا بعد ما يسامح بعضنا البعض ونتعامل كأخوة متحابين كما قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"[2] .

كما ينشأ العنف في بداياته من الشحناء والبغضاء والحسد ، فانتشارُها بين الناس يوجبُ عدم التسامح في المجتمع وهو عنف خفيف عندما لا يُقبل البعض عثرات البعض الآخر ولا يقبل له معذرة ولا يغفر له ذنبا .

وعالج ديننا الحنيف بنظرته العالية ظاهرة العنف التي تنشأ من الشحناء والبغضاء والحسد في ابداء التسامح وعدم التباغض والتحاسد والتدابر ، وعلمنا ان نكون بالتسامح في ما بيننا عباد الله أخوانا ، حيث قال عليه الصلاة والسلام "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا"
وغالبا ما يتطور العنف الخفيف إلى عنف شديد عندما يتحول البعض إلى منبع للشر فلا يؤمن شره ولا يُرجى خيره ، وهو مرحلة يتكامل فيه هذا المرض ويتأصل في المجتمع ليتحول من مرض نفسي إلى مرض اجتماعي ومن مرض اجتماعي إلى ظاهرة سياسية عندما يستفحل ويتحول إلى حركة ومنظمة ، تعيث في الارض الفساد .

وهنا لابد من تتابع منشأ العنف وتطوره من داخل النفس الإنسانية الى مراحله الاخيرة ومعالجته بالسلوك الايجابي ونظرة الاسلام العالية سواء كان على مستوى الفرد أو المجتمع من خلال تحريم الشر بكل صوره واشكاله صغيرا كان يجثو في النفس او كبيرا فشى في المجتمع ، ومن خلال انشاء ثقافة العلم والمعرفة والتسامح في ما بيننا والعفو عن الاخرين ، وهذا ما حث عليه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله : "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" .

ومما تقدم يمكننا القول :

العنف كما هو واضح من أخطر ما يواجهه المجتمع ويسلب منه الأمن والاستقرار وينشر الخوف والهلع بين الناس ، وتجده دائما ينشأ من عمل صغير ثم يتوسع ويتعمق ويكبر، فكان لابد من مواجهته في منشأه .

---

١ ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال ٦/ ٥٧١ .

٢ المائدة: ٢ .

الخـــــاتـــمـــة

بعد تمام البحث والحمد لله رب العالمين يمكنني بيان اهم النتائج والملخصات التي توصلتُ اليها من خلال دراستي لهذا البحث ، ويمكن اجمالها في النقاط الآتية :

١. عرضنا بالتفصيل المفهوم العام للتسامح ، وما هو أثره على السلم في كافة جوانبه، وما هو أثره على المجتمعات وكذلك الشعوب .

٢. ان مسلك التسامح هو مسلك خلقي أصيل، يدعو اليه ديننا الحنيف لغايات عظيمة متصلة بمقاصد وأهداف نبيلة ، دالة على النظرة الاستشرافية البعيدة التي يتسم بها المسلم .

٣. التسامح لا يعني التساهل ، أو التنازل عن المبادئ والقيم ، بل يجب التمييز بين الامور التي فيها مدخل للتسامح والتي ليس فيها مساغ للعفو والتسامح .

٤. إن من أهم أُسس السلام في المجتمع تحقيق العصمة لأموال الناس ودمائهم جميعا وحمايتها من التسلط عليها ، وتحقيق المصالح المشتركة بينهم .

٥. إن وجوده التسامح في المجتمع دلالة على وجود السلام الذي هو غايةٌ من أجل الغايات الشرعية لتحقيق السلام والامن في المجتمع .

٦. للتسامح ضوابط وحدود ومعالم تميزه في المفهوم وعمق النظر والموضوع، وما يتصل بكل هذا من مقصد وضبط تشريعي يوجهه ويعمق رسمه المميز له.

٧. إن التسامح مع الآخرين له أثره الإيجابي يلزم المسلم الاخذ بها والتخلق بأخلاقها ، ويحارب التعصب والظلم والتجاوز على حقوق الآخرين .

٨. إن السلم في المجتمع هو مقصد عظيم من مقاصد الدين، وضرورة من ضرورات العمران البشري والنهوض الحضاري، وقد دل استقراء الشريعة على أن التيسير والسماحة من مقاصد هذا الدين الحنيف.

٩. للتسامح مقومات أساسية يتجذر بها السلم في المجتمع ، وتوصد أبواب الفتن والنزاع ، وينشأ من خلالها السلام في مختلف النواحي .

١٠. أن أهم سجية تستمد الانسانية روحها منه هي السلوك الإيجابي الذي يحفه صفة العفو والتسامح المجتمعي ، ونظرة الاسلام العالية في السلوكيات الايجابية .

وختاما نسال الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وان يتقبل منا هذا العمل ، وان يجعله في صحائف أعمالنا انه سميع مجيب الدعاء ، والحمد لله رب العالمين .

نتائج ووصايا:

من كل ما تقدم نستطيع أن نوصي بما يأتي :

١. الإسلام بنظامه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي يُقدم لنا أفضل نموذج للسلم الاجتماعي

٢. تحفيز المجتمع على التعاون والتكاتف والتراحم وإشاعة روح التسامح والتواصي بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣. بث ثقافة التعايش المشترك في المجتمع.

٤. إشاعة روح التسامح وحسن الظن بالآخرين.

٥. تفعيل دور القضاء واحترام القانون والالتزام بالمقررات والتعليمات التي تنظم شؤون المجتمع وتشديد العقوبة على المنحرفين والخارجين عن القانون .

٦. إشاعة روح المواطنة وحب الوطن وزرع روح المشاركة للعمل على أعماره والحفاظ على وجهه الحضاري.

أهم المصادر والمراجع :

١. الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة ، لفهد إبراهيم الحبيب ،

٢. الاسلام في العقل العالمي : للدكتور توفيق الواعي ، دار الوفاء ، مصر ، ط١ ، ١٤١٠ ه — ١٩٩٠م.

٣. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٧ م .

٤. الأمن مسؤلية الجميع : لهاشم بن محمد الزهراني ، ورقة عمل بحثية مقدمة لندوة المجتمع والامن ، كلية الملك فهد الامنية ، الرياض ، ١٤٢٥ — ٢٠٠٤ .

٥. البداية والنهاية : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت(٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

٦. تاج العروس : لمحمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ت(١٢٠٥هـ) مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

٧. تاريخ الخلفاء الراشدين : للدكتور :محمد سهيل طقوش ،دار النفائس ، ط١ ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٨. تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت(٣١٠هـ) دار التراث — بيروت ، ط٢ ، ١٣٨٧ هـ .

٩. التسامح الاسلامي قراءة في معطياته الفكرية وآثاره الواقعية في ضوء الكتاب والسنة ، لعبد الواسع محمد غالب الغشيمي ، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد ١٢ ، ١٤٣٤هـ .
١٠. تطريز رياض الصالحين : لفيصل بن عبد العزيز المبارك النجدي ت(١٣٧٦هـ) تحقيق : د. عبد العزيز آل حمد ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
١١. التعريفات : لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت(٨١٦هـ) تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط١ ،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
١٢. التعريفات الفقهية : لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، دار الكتب العلمية ،ط١، ١٤٢٤هـ .
١٣. تفسير الرازي : لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ت(٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط٣ ،١٤٢٠ هـ .
١٤. تفسير الزمخشري : لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت(٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ .
١٥. تفسير السعدي : لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت(١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .
١٦. تفسير القرطبي : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي ت(٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤ه ـ.
١٧. تفسير الماوردي : لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي، الشهير بالماوردي ت(٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
١٨. التنوير شرح الجامع الصغير: لمحمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني، ت(١١٨٢هـ) تحقيق: د.محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض ،ط١ ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .
١٩. تهذيب اللغة : لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ت(٣٧٠هـ) تحقيق :محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١ ، ٢٠٠١م .
٢٠. الثقافة والعلم الآخر : للدكتور عبد الله بن ابراهيم الطريقي ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٥٥١هـ - ١٩٩٥م .
٢١. جمهرة اللغة : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت(٣٢١هـ) تحقيق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت ،ط١ ، ١٩٨٧م .

٢٢. حياة الصحابة : لمحمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي ت(١٣٨٤هـ) تحقيق :الدكتور بشار عوّاد معروف ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .
٢٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور : لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) دار الفكر – بيروت .
٢٤. السلم الاجتماعي لحسن الصفار ، دار الساقي للتوزيع والنشر ، بيروت لبنان .
٢٥. سنن ابن ماجه :لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت(٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .
٢٦. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي : لعبد الشافى محمد عبد اللطيف ، دار السلام – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ .
٢٧. شرح البخاري :لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري ت(٩٥٦هـ) تحقيق : أحمد فتحي عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ،١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
٢٨. شرح النووي على مسلم : لأبي زكريا محيي الدين يحى بن شرف النووي ت(٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢ .
٢٩. شرح صحيح البخارى : لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ت(٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
٣٠. شرح غريب ألفاظ المدونة : للجبي ت(ق ٥هـ) تحقيق: محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .
٣١. شرح كتاب التوحيد : لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي ت(١٢٨٥هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر ، ط٧ ،١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
٣٢. صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ،تحقيق: محمد زهير بن ناصر ،دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
٣٣. صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت(٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٣٤. العلاقات الدولية في الإسلام : للدكتور وهبة الزحيلي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٤ ، ١٤١٧ه – ١٩٩٧م .
٣٥. العين : لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت(١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

٣٦. فتوح البلدان : لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري ت(٢٧٩هـ) دار ومكتبة الهلال- بيروت ١٩٨٨م .
٣٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير : لزين الدين محمد بن عبد الرؤوف المناوي القاهري ت(١٠٣١هـ) المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ط١ ، ١٣٥٦ .
٣٨. القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير : لعبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
٣٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي ت(٩٧٥هـ) تحقيق: بكري حياني ، وصفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٤٠. لسان العرب : لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الإفريقى ت(٧١١هـ) دار صادر – بيروت ، ط٢ ، - ١٤١٤ هـ .
٤١. مجالس التذكير من حديث البشير النذير: لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي ت(١٣٥٩هـ) مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ،
٤٢. المجتمع الإسلامي: للدكتور مصطفى عبد الواحد ، دار البيان العربي ، جدة ، ط٢، /١٤٠٤هـ .
٤٣. المجتمع والأسرة في الإسلام: للدكتور محمد الطاهر الجوابي، دار عالم الكتب، الرياض:ط ٣ ،١٤٢١هـ
٤٤. مجموعة الفوائد البهية على القواعد الفقهية : لأبي مُحمَّدٍ، صالحُ بنُ مُحمَّدٍ آلُ عُمَيِّرٍ، اعتنى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد، دار الصميعي ، المملكة العربية السعودية ،ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
٤٥. مختار الصحاح : لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي ت(٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، ط٥ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٤٦. المخصص : لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت(٤٥٨هـ) تحقيق: خليل إبراهم جفال
٤٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : لعلي بن محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ت(١٠١٤هـ) دار الفكر، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٤٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار : لعياض بن موسى بن عمرون اليحصبي السبتي، ت(٥٤٤هـ) المكتبة العتيقة ودار التراث .

٤٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي ، أبو العباس ت(نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية – بيروت .
٥٠. مصنف عبد الرزاق : لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني ت(٢١١هـ) تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ،المجلس العلمي- الهند ،ط٢ ، ١٤٠٣ .
٥١. معاني القرآن للأخفش : لأبي الحسن البلخي البصري، المعروف بالأخفش ت(٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
٥٢. معجم اللغة العربية المعاصرة : للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر ت(١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب ، ط١ ،١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
٥٣. معجم مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت(٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٥٤. المغرب في ترتيب المعرب : لناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ ت(٦١٠هـ) دار الكتاب العربي .
٥٥. مفهوم التسامح في الاسلام وصلته بمفهوم الواجب ، دراسةة تطبيقية ، د. بلال صفي الدين ، مؤتمر التسامح الديني ، جامعة دمشق ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م .
٥٦. مقاصد الشريعة الإسلامية : لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي ت(١٣٩٣هـ) تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر :١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
٥٧. المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي :لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ت(٨٠٧هـ) تحقيق: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
٥٨. المنثور في القواعد الفقهية :لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت(٧٩٤هـ) وزارة الأوقاف الكويتية ،ط٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٥٩. موسوعة القواعد الفقهية : لمحمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٦٠. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار : لمحمود مقديش ، تحقيق: علي الزواري، ومحمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان ،ط١ ، ١٩٨٨م .
٦١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ت(٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .